كلمة الحياة

تشرين الأوّل/ أكتوبر 2023

"أَدُّوا إِذاً لِقَيصَرَ ما لِقَيصر، ولله ِما لله" (متّى 22، 21)

دخل يسوع أورشليم على وقع هتاف الشعب له "كابن داود"، وهو لقب ملكيّ يَنسُبُه إنجيل متّى إلى المسيح، الذي أتى ليعلنَ اقترابَ مجيءِ ملكوتِ الله.

في هذا السياق، جرى حوار فريد بين يسوع ومجموعة من الأشخاص الذين أرادوا أن يستجوبوه. بعضُهم هيرودُسيّون، والبعض الآخر فِرّيسيّون، مجموعتان لهما آراء مختلفة في ما يتعلّق بسلطة الإمبراطور الرومانيّ: أخذوا يسألونه عمّا إذا كان يعتبر دفع الجِزية للإمبراطور أمرًا مشروعًا أم لا، وذلك لإجباره على الوقوف مع قيصر أو ضِدّه، والحصول في كلا الحالين على ما يتّهمونه به.

لكنّ يسوع أجابهم بسؤال آخر يتعلّق بالصورة المطبوعة على العملة المتداوَلة. وبما أنّ الصورة هي للإمبراطور، أجاب:

"أَدُّوا إِذاً لِقَيصَرَ ما لِقَيصر، ولله ِما لله"

ما الذي يُؤدَّى لقيصر وما الذي يؤدَّى لله؟

يُذَكِّر يسوع بأولويّة الله: فكما أنّ صورة الإمبراطور مطبوعة بالفعل على العملة الرومانيّة، كذلك فإنّ صورة الله مطبوعة في كلّ كائن بشريّ.

فالتقليد الحاخاميّ بالذات يؤكّد أنّ كلّ إنسان مخلوق على صورة الله[1]، مستخدِمًا مثَلَ الصورة المطبوعة على قطع النقود: "عندما يَسُكُّ رجلٌ قطع نقود بالقالَب نفسِه، تكون كلُّها متشابهة، إلّا أنّ مَلِكَ الملوك، القدّوسَ تبارَكَ اسمُه، صاغ كلَّ إنسان بقالَبِ الإنسانِ الأوّل نفسِه، ولكن ما من أحد مشابه لرفيقه"[2].

لذلك، لله وحدَه يمكننا أن نهبَ ذواتَنا كلَّها، إليه وحدَه ننتمي، وفيه نجد الحرّيّة والكرامة. ولا يمكن لأيّ سلطة بشريّة أن تدّعيَ لنفسِها ولاء مثل هذا الولاء.

إذا كان هنالك من أحد يعرف الله ويمكنه أن يساعدَنا على إعطائه مكانته الصحيحة، فهو يسوع. "[...] المحبّة لديه هي أن نعمل بإرادة الله الآب، واضعين بتصرّفه فكرَنا وقلبَنا وطاقاتِنا وحياتَنا. لقد أعطى يسوع كلَّ ذاته لتحقيق مخطّط الآب عليه. والإنجيل يُرينا يسوع متّجهًا نحو الآب دومًا وبشكل كُلّيّ [...]. نحن

---

[1] راجع تكوين 1، 26.

[2] تلمود الميشنا سنهدرين 4، 5.

أيضًا على مثال يسوع، مطلوب منّا الأمر نفسه؛ أن نحبّ يعني أن نعمل بمشيئة المحبوب، بشكل كامل وبكلّ كِياننا. [...] فبذلك، المطلوب منّا هو أن نحيا حياة جذريّة، إذ لله لا يمكننا ألّا نعطيَ كلّ شيء: كلَّ قلبنا، وكلَّ نفسِنا، وكلَّ ذهننا"[3].

"أَدُّوا إِذاً لِقَيصَرَ ما لِقَيصر، ولِلهِ ما لله"

كم من مرّةٍ نجد أنفسنا أمام مُعضِلات وخِيارات صعبة قد تجعلنا ننزلق وننساق في تجربة اللجوء إلى المنافذ السهلة. يسوع أيضًا تعرّض للامتحان إذ وجد نفسَه أمام حلّين إيديولوجيَّين، لكنّ الأمرَ كان واضحًا بالنسبة إليه: الأولويّة هي لمجيء ملكوتِ الله، هي للمحبّة.

دعونا نسأل أنفسَنا انطلاقًا من كلمة الحياة هذه: هل قلبُنا يبحث عن الشهرة، عن الوظائف اللامعة؟ هل نُعجَب بالأشخاص الناجحين، بالمؤثِّرين؟ هل نعطي ربّما الأشياء المادّيّة المكانةَ العائدة لله؟

من خلال جوابه، يقترح يسوع القيام بقفزة نوعيّة، ويدعونا إلى تمييز جِدّيّ وعميق في ما يخصّ سُلَّمَ قِيَمِنا.

في عمق ضميرنا يمكننا أن نصغيَ إلى صوتٍ، ناعمٍ أحيانًا وربّما تعلوه أصواتٌ أخرى. ولكنّنا قادرون على التعرّف إليه: إنّه الصوت الذي يدفعنا إلى أن نبحثَ بلا كَلَل عن دروبِ أخوّةٍ ويشجّعنا دائمًا على تجديد هذا الخِيار، حتّى ولو كلّفَنا السيرَ عكس التَيّار.

إنّه تمرين جوهريّ لبناء أُسسِ حوارٍ حقيقيّ مع الآخرين، لكي نجدَ معًا أجوبة مناسبة لتشعّبات الحياة. هذا لا يعني الانسحاب من المسؤوليّة الشخصيّة تجاه المجتمع، بل بالأحرى أن نقدّم أنفسَنا في الخدمة المجّانيّة في سبيل الخير العامّ.

أثناء السجن الذي انتهى بإعدامه بسبب مقاومته للنازيّة، كتب القسّ ديتريش بونهوفر Dietrich Bonhoeffer إلى خطيبته: "أنا لا أتحدّث عن الإيمان الذي يهرب من العالم، بل عن الإيمان الذي يقاوِم في العالم، والذي يُحِبّ هذه الأرض ويبقى أمينًا لها، على الرغم من كلّ الشدائد التي تُسَبّبها لنا. يجب أن يكون زواجُنا بمثابة "نَعَم" نقولُها لأَرضِ الله، وأن يقوّيَ فينا الشجاعة للعمل ولبناء شيء ما على الأرض. أخشى أن يضطرّ المسيحيّون الذين لا يجرؤون إلّا على الوقوف على قدم واحدة على الأرض، أن يقفوا أيضًا على قدم واحدة في السماء"[4].

إعداد ليتيتسيا ماغري ولجنة كلمة الحياة

---

[3] كيارا لوبيك، كلمة حياة شهر تشرين الأوّل/ أكتوبر 2002.

[4] Dietrich Bonhoeffer, Maria von Wedemeyer, *Lettere alla fidanzata*, Cella 92, Queriniana, Brescia 1992, 48.